ليس منا من لم يوقر كبيرنا التوقير أدب من اداب الإسلام

الحمدُ للهِ ربالعالمين وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُ اللهِ ورسولهُ، اللهم صلاة وسلاماً عليك ياسيدي يارسول الله وعلي صحابتك الغُرِّ الميامينَ، والتابعينَ، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ، أمَّا بعدُ:

فيقول الله تعالي:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ"(الروم: 54).

عباد الله :" قضت حِكمةُ اللهُ جلَّ وعلا، أن يُولَدُ الانسان طفلًا ضعيفًا لا يَعلَمُ شَيئًا، ولا يقوم بنفسه، ثُم يقوى ويتعلَّم شيئًا فشيئًا حتى يبلغ اشده في عنفوان الشباب، ثُمَّ لا يزالُ يكبرُ حتى يَكُونُ كَهْلًا ثم شيخًا ثم عجوزًا هرمًا، يبيضُّ شعرهُ، ويرقُ عظمهُ، وتضعفُ قوتهُ، وتقلُ حركتهُ، وَهَذَا قَدَرُ جَمِيعِ الْبَشَرِ إن طالت بهم الحياة، قال

تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ "(الروم: 54).

عباد الله :" من الآدابِ العظيمةِ والخصالِ الكريمة التي دعا إليها الشرعُ الحنيف ورغَّبَ فيها، التعاملُ الحسنُ مع كِبارِ السِّنِّ، وتوقيرهم ومعرفةُ حقهم، ففي الحديث الصحيح: قالَ صلى اللهُ عليه سلم: قال صلى الله عليه وسلم:"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا»، وفي رواية صحيحة: "منْ لَمْ يرحمْ صغيرَنَا، ويعرفْ حقَّ كبيرِنَا، فليسَ منَّا"(أبو داود والترمذي وأحمد).

فحَرَصَ الإسْلامُ على البِرِّ ومُراعاةِ حُقوقِ الناسِ على اخْتِلافِ أعْمارِهم وأحْوالِهم.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "ليس مِنَّا"، أي: ليس على طَريقَتِنا وهَدْيِنا وسُنَّتِنا، "مَنْ لم يَرْحَمْ صَغيرَنا"، فيُعْطيهِ حَقَّه من الرِّفْقِ، واللُّطْفِ، والشَّفَقةِ، ويُحتمَلُ أنَّ المُرادُ صَغيرَ المُسلِمينَ، ويُحتمَلُ أنَّ المُرادُ صغيرَ بَني آدَمَ؛ إذِ العِلَّةُ الصِّغَرُ "ويَعْرِفْ حَقَّ كَبيرِنا" فيُعْطيهِ حَقَّه منَ التَّعْظيمِ والإكْرامِ، إذْ خُلُقُ أهْلِ الإسْلامِ رَحْمةُ الصَّغيرِ، ومَعرِفَةُ الحَقِّ للكَبيرِ، وخاصَّةً إذا كان له شَرَفٌ بعِلْمٍ أو صَلاحٍ أو نَسَبٍ زَكِيٍّ .

عباد الله :"كبار السن هم بركةُ الأرضِ وخيرُها، وهم نورها وبهاؤها أرقُّ الناس أفئدةً، وألينهم عريكةً، وأقربهم سهولةً، وأكثرهم ذكرًا لله واحرصهم على العبادة، كثيرٌ خيرهم، قليلٌ شرُّهم، قد لَزِموا الوَقارَ، وصقلتهم أحداث الحياة، فأصبَحوا خبراء مُجرِّبينَ، وعرَفوا مَواضعَ الخيرِ، وخبروا عواقبَ الأمور ومآلاتها، فما أسعدَ من فَسَحَ اللهُ له في الأجل، ووفَّقَهُ لصالحِ العمل،

ففي الحديث الصحيح : "خيرُكم من طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه"، وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قالَ: "البرَكةُ مع أكابِرِكم"، وهنيئًا لمن ضمَّتْ بيوتُهم من كبارِ السن من يبعثُ فيها السعادةَ والنور، والبهجةَ والسرور، فهم نورُ عيونِنا، وتاجُ رؤوسِنا، وبركةُ عيشِنا، وأُنْسُ مجالسِنا، وبهجةُ حياتِنا، فما أجملَ مُحيَّاهم، وما أعذبَ حديثَهم، وما أصدقَ ابتسامتَهم، وما أصفى مشاعرَهم، ولله تلكَ الأرواحُ الطاهرةُ ما أنقاها، وتلك القلوبُ الطيبةُ ما أروعها، وتلك الصدورُ السليمةُ ما أصفاها، وتلك الوجوهُ المشرقة النيِّرةُ ما أبهاها وما أحلاها، ولله بيوتٌ بهم عامرة،

ومجالسُ بهم حافلة، لا أخلى الله منهم بيوتنا، يتوافدُ الجميعُ إليهم، ويلتفُّونَ حولَهم ويجلسونَ بين أيديهم، يُحبُّهم الصغار، ويأنس بهم الكبار، ويستنيرُ بتجاربهم الشبابُ، فما أعظمَ بركتَهم وما أطيبَ مُجالَستَهم، كم نتفيَّأُ ظلالَهم، وكم نُغمرُ بكرمِهم ولُطفِهم وحنانهم، يَستقبلوننا بالحفاوةِ والتَّرحيب، ويتعاهدوننا بالإكرام والطِّيب، كم رفعوا لنا من صادقِ الدعوات، فكانت سببَ التوفيقِ والرِّزقِ والخيرات، والحفظِ من الشرورِ والآفات، فعلينا أنْ نبادلَهم تلك المشاعر، بإظهارِ اهتمامنا بهم، وحُبِّنا لهم، وحفاوتِنا بهم، وعطفِنا عليهم، وتودُّدِنا إليهم، فهم بحاجةٍ دائمةٍ إلى من يجالسُهم ويؤانسُهم، ويستمعُ لهم، يعيشُ همومَهم، ويتفهم مشاعرَهم، ويخاطبُهم بلغتِهم، ويسمعُ منهم، ويستشيرُهم ويستأذنُهم، ويصبرُ عليهم ويدعو لهم، إنَّهم كنزٌ ثمينٌ، كنزٌ ثمينٌ لا يعرفُ قيمتهُ إلا من فقده، فأدُّوا زكاتَه بخدمتِهم، وأحسنوا لأنفسكم بالإحسانِ إليهم، واحذروا أنْ تَخدِشوا كرامتَهم الغالية، أو تجرحوا أحاسيسَهم المُرهَفَة، أشعروهم بأنَّ الفضل بعد فضل الله هو فضلهم، وأن المنَّةَ لله ثمَّ لهم، اخفضوا لهم الجناح، وطيِّبوا معهم الكلام، وأبعدوهم عن الجدالِ والخصام، وتلمَّسوا حاجاتِهم وأحضروها قبلَ أن يطلبوها، وردُّوا لهم بعضَ الجميل، وكافِؤُوهم على ما قدَّموه من تضحياتٍ ولو بالقليل، فقد أدَّوْا ما عليهم وبقيَ ما لهم.

ألا وإنَّ كثيرًا من كبار السن اليوم, هم غرباء في بيوتهم وبين ذويهم، فلم يعد الزمانُ زمانَهم، ولم تعد الحياةُ تطيبُ لهم، يرى الواحدُ منهم نفسهُ ثقيلًا على من حوله، فلا جليسَ يتبادلُ معه أطرافَ الحديثِ، ولا أنيسَ يُدخلُ السرورَ عليه ويُباسِطه، وإن جلس معهم لم يعرفوا حقَّه، ولم يحترموا له سنَّهُ ومَقامهَ، إن تكلم قاطعوه، وإن قال رأيًا تنقصوه, وإن طلبَ شيئًا لم يحضروه، ألا وإن من حقِّ كبار السنِ يا عباد الله، الجلوسُ في صدر المجلس، والتأدب معهم، وأن يُقدِّموا في الكلام، وأن يُنصت لهم إذا تكلموا، وأن يُلان لهم الكلام، وأن يُنادوا بما يُشعرهم بالاحترام والتقدير يا عم، يا والد، يا شيخ، وأن يَتحنَّنَ لهم في العبارة ويُزيِّنها، وألا يمدَّ بين أيديهم رِجْلًا، ولا يُولِيْهم ظَهرًا، وأن يُقدمهم في الطعام والشراب، وفي الدُّخول والخروج.

ومن حقِّ كبار السن أن يزاروا في بيوتهم، وأن يُحتفى بهم ويبجلوا، واعلموا أن كَبيرَ السِّنِّ لَا يَسْعَدُ بشَيءٍ كسَعَادَتِهِ بِاجْتِمَاعِ أَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ حَوْلَهُ، وأنَّ أَكْثَرَ مَا يُزْعِجُ كِبَارَ السِّنِّ اليوم هُوَ هجرهم وشعُورُهم بِالْوِحْدَةِ، فهم في أمَسِّ الحاجةِ إلى من يجالسهم ويحدِّثهم ويؤنسهم، ويستمعُ لحديثهم، ويغيِّرُ أجواءَهم، ويتلمسُ

حاجتهم، وأن يُعامِلهم بلطفٍ وشفقةٍ, وحُنو ورحمة، وألا يتشاغلَ الجالسُ عندهم بالأحاديث الجانبيةِ أو النظرِ في وسائل التواصل وردود الجوال، إلا أن يقرأ عليهم من القصص الطريفة، والأخبار المهمة، والأحاديث المناسبة ما يدخلُ السرور على قلوبهم، ويُشعرهم بأهميتهم وعلو قدرهم.

ألا فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله، واعرفوا لكبارِ السنِّ فضلَهم، واشبعوا منهم قبلَ أن تفقِدوهم، فمكانُهم الذي يتركونَه يبقى خاليًا لا يَسُدُّه غيرُهم، ولا يبقى منهم إلا عَبَقُ رائحتِهم الزكية، وعبيرُ سيرتِهم الندية، وبقايا ذكرياتِهم الجميلة.. – ففي الحديث :"مَهْلًا عنِ اللهِ مَهْلًا؛ فإنَّه لولا شبابٌ خُشَّعٌ، وبهائمُ رُتَّعٌ، وشيوخٌ رُكَّعٌ، وأطفالٌ رُضَّعٌ لصُبَّ عليكم العذابُ صبًّا"(البيهقي).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله أما بعد:

لازلنا نواصل الحديث حول حقِّ كبير السن، فليس منا من لم يوقِّر كبيرنا ويعرفَ له قدره، وفي الحديث الصحيح: "من شاب شيبةً في الإسلامِ كانت له نورًا يومَ القيامةِ"، وفي رواية صحيحة:"مَا شَابَ رَجُلٌ فِي الْإِسْلَامِ شَيْبَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ"

وأنتم يا معاشر الكبار، اعلموا أن الآلام والأسقامَ التي تجدونها، والوهنَ والضعفَ الذي تعانون منه، فإنها أجورٌ وحسناتٌ مُدخرةٌ لكم عند ربكم، ويقول صلي الله عليه وسلم:"ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ"(البخاري).

و يقول صلى الله عليه وسلم:"عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(مسلم).

اللهمَّ احفظْ كبارَ السِّنِّ فينا، اللهمَّ تولَّ أمرَهم وأعِنَّا على برِّهم والإحسانِ إليهم، وباركْ

لهم في أعمارِهم وقوَّتِهم، وأصلحْ لهم عملَهم وذريَّتَهم، وأرفع درجاتهم وأجزل

مثوبتهم.اللهمَّ اشْفهم من كل داء، وعافهم من كل بلاء، وألبسهم ثوب الصحة والعافية،

وأسعدْهم واكتبْ لهم الحياةَ الطيبةَ، في طول عمرٍ وحُسن خاتمة، يا ذا الجلالِ والإكرام